٦ - خطوات حنبعل الأولى:

أحدث اغتيال عزر بعل اضطرابات في قرطاج، واتهم "آل برقة" بأنهم يستغلون ثروتهم الاستعمارية لتمويل أتباعهم وإغراء خصومهم بالمال. ولكن الجيش في اسبانيا لم يكن ليقيم وزنا لتقلبات الرأي العام واختار حنبعل، ابن عبد ملقرط البرقي، قائدا هجمت بها على "طرابنة" وحطمت أو حجزت مجموعة من مراكب التموين البونيقية قرب جزر "أغادى") ١٠ مارس ٢٤١ (. ولم يكن لقرطاج مال كثير أو جيوش كافية فقبلت التصالح، ورضيت بالجلاء عن صقلية والجزر التي بين صقلية وايطاليا)ليباري من دون شك(وبدفع غرامة حربية تقدر ب ٣٢٠٠ وزنة أوبية أقساطا مدة عشر سنين.

٤ - تسريح جنود قرطاج، وثورة المرتزقة:

خسرت قرطاج من جراء هذه الحرب ٥٠٠ سفينة، وحرمت من مواردها القمرقية. فلما توافد عليها العشرون ألفا من المرتزقة الذين كانوا في صقلية لم تستطيع أن تدفع لهم ثمن القمح الذي استهلكوه، وإلى هؤلاء الذين نغلت قلوبهم عليها انضم الليبيون وقد أضنتهم الحرب من بدايتها. ثم إنه وقع حجز نصف الصابة وزج في السجن بجميع من عجزوا عن الدفع وصلب ٣٠٠٠ من إخوانهم الذين فروا من الجندية لأنهم أبوا أن يخدموا قضية ليس لهم فيها ناقة ولا جمل. فنشأت أزمة عن هذا الحقد المشترك على الظالم طيلة ثلاث سنين وأربعة أشهر بطابع الحرب الطبقية، وقد ضحت النساء البربريات بحليهن في سبيل الحرية وظهر القادة من صوف الثوار ولم تعرف الحرب هوادة. "وماتوس" الليبي هو الذي أشعل نار الثورة، فاستجاب لندائه الحضر والبدو وسرعان ما التف حوله سبعون ألفا من الرجال يحدوهم نفس الحماس، وعينت قرطاج "حنون" لمقاومتهم وكأنها أرادت أن تتحداهم لأن الأفارقة كانوا لا يكرهون رجلا كما كانوا يكرهونه، ولم يقدر حنون على منعهم من احتلال البرزخ الفاصل بين قرطاج وتونس)سنة ٢٤٠ (ومحاصرة أوتيكة وبنزرت.

فاضطرت قرطاج إلى الاستنجاد بعبد ملقرط البرقي رغم أنها كانت تشك في إخلاصه. فكك الحصار عن أوتيكة، وأجبر العدو على الفرار. ولكن الذي أنقذ قرطاج هو

في الحقيقة منافسات الأهالي التي عطلت دائما ما كانوا يبذلونه من مجهود للتحرر.

وقد أمده الأمير "نارافاس" بعون الفرسان النوميديين، ومكنه بذلك من الانتصار على المرتزقة وحاول عبد ملقرط البرقي حينئذ تفريق صفوف الأعداء بالإكثار من الوعود، فرد المرتزقة الفعل بإبادة أعيان قرطاج وبذلك بدأت "الحرب الضروس".

ولعبت رومة على حبلين، فبعد أن زود تجارها الثوار طالبت قرطاج بتسليم كرسيكا وسردينا ودفع غرامة أخرى تقدر ب ١٢٠٠ وزنة أوبية بعد أن هددتها بحرب جديدة)سنة ٢٤١ (. ثم هي بعد أن نجحت في مساومتها رخصت للبونيقيين في تجنيد المرتزقة بايطاليا له، وهو شاب في الخامسة والعشرين من عمره، كشفت الأيام عن قدرته النادرة على القيادة والتنظيم.

لا شك أن عبد ملقرط البرقي أضمر حربا أخرى للأخذ بالثأر، فقد طالب ابنه ولما يزل في التاسعة من عمره، أن يقسم في معبد قادس بأن يحقد على الرومان حقدا أبديا.

وقبل أن يشرع حنبعل في تحقيق مشاريع أبيه بتوسيع رقعة العمليات في اسبانيا فتوغل حتى بلغ الالغادا)قرب منابع وادي آنة(و"الفاكيين")على ضفة الدورو(الذين افتك (" منهم "سلامنتكاSalamanqueثم هزم جيش "الكرابطة" الجرار)قشتالة الجديدة ( ) على ضفة "التاج".

ولما استولى على الجهات الكائنة شرقي "الايبرو" استعد لمهاجمة "ساغونته")مورفيدرو(، بدعوى أنهم في خصومة مع حلفائه الإسبان. وفتحها عنوة سنة ٢١٩ بعد حصار دام ثمانية أشهر. فلم تحتج روما في ذلك الوقت إذ كانت "ساغونته" فعلا في (جنوب "الايبرو" ولم تكن متيقنة من محالفة ساغونتهSegonteلها إلا أن مصالح) مرسيليا التجارية كانت بلا شك من الأهمية بحيث أثرت على سياسة روما. كما أن رجال المال الايطاليين تحيروا من الاستيلاء على مناجم الفضة. وعندما رفض الشيوخ البونيقيون الضرب على أيدي حنبعل رغم الإلحاح لم يجد سفراء رومة بدا من إشهار .) الحرب) ٢١٨

٧ - الحرب البونيقية الثانية: معركة ايطاليا:

إن رومة لم تقرأ حسابا لعبقرية حنبعل الذي كان ينتظر هذه القطيعة لينفذ خطة الهجوم. فاجتاز "البرقي" نهر الايبرو ثم البيرنيه على رأس ٥٠٠٠٠ من المشاة و ٩٠٠٠ من الفرسان و ٣٧ فيلا)جوان ٢١٨ (، وتمكن من عبور نهر "الرون" حوالي منتصف شهر أوت وحاذاه في اتجاه منبعه إلى حيث يلتقي هذا النهر بنهر الايزير، واختار الطريق التي لم يشدد الرومان حراستهم فيها لاجتياز جبال "الألب". ولا تزال المناقشات مستمرة لمعرفة هل أنه مر بالقرب من فج سان برنار الأصغر أو وادي "الارك" فجبل الاقنيس أو الإيزير الأسفل فجبل "جونيفر". وكان مروره عبر هذه الأنهار والجبال عسيرا جدا، خصوصا بالنسبة للفرسان وحاملات العدة. وبعد مسير خمسة أشهر من بينها خمسة عشر يوما في الجبال بلغ الجيش القرطاجي "الطوريين" في وادي" بو")آخر سبتمبر(ولم يبقى منه إلا ١٢٠٠٠ إفريقي. و ٨٠٠٠ اسباني و ٦٠٠٠ فارس و ٢١ فيلا. وقد كلف حنبعل جنوده فوق وسعهم، آملا أن يجد في شمال ايطاليا حلفاء، وأن يكون جبهة ضد روما التي كان "البوبون" قد ثاروا عليها عندما أسست مستعمرتي "بليزانس" و"كريمون".

وحينئذ لم يعد القناصل يسيطرون على الموقف. فبعد أن اضطر" ب.كورنيليوس شيبيون" الذي كان أرسل جيوشه من مرسيلية إلى اسبانيا، إلى العدول عن ملاحقة (القرطاجيين في وادي "الرون" تسلم قيادة الجيش المعسكر قبالة الألبCisalpine) (واجتاز نهر "البو". ولكن الفرسان النوميديين دحروه شرقي تيسينوTessinفتقهقر) (إلى ضواحي بليزانسPlaisanceوراء ثريبية. وقد نالت هذه المعركة التي دارت بين طلائع) الجيشين من هيبة الرومان فانضم الجنود "الغوليون" إلى العدو وتحالف شعب "أنسيبر" مع البونقيين.

وسجل حنبعل بفضل عبقريته انتصارات عسكرية تدعوا إلى الإعجاب فهزم جيوش "سيروتيوس" و" ب. شيبيون"، وبرد الشتاء في أوجه، على ضاف نهر تريبية، وقتل أو غرق ثلاثة أرباع أعدائه. وقد غذى هذا الانتصار الذي تبعته دعاية واسعة ثورة "الغوليين" ثم اجتاز حنبعل بصعوبة جبال "الآبنان" سالكا طرقا محفرة حتى "صدفة لوك" ثم اخترق (وادي أرنوArnoوتوجه نحو "بيروزا" تاركا على يساره " أريتيوم" حيث كان يعسكر)

جيش القنصل " أفلامينوس". ولم يبق له إلا فيل واحد. فحصر أفلامينوس نفسه في مضيق كائن بين بحيرة "طرازيمان" وهضاب الشمال كأنه أوقع بنفسه في فخ وذلك من غير أن ينتظر زميله "سرفيليوس" الذي كان في "أريمنيوم". فهلك مع ١٥٠٠٠ من رجاله وأسر ١٥٠٠٠ آخرون. واحتفظ حنبعل بالرومان وخلى سبيل الحلفاء وبذلك وقف في مهارة موقف المدافع عن الحريات الايطالية.

واحتل الجيش البونيقي عبر الابينان الامبري، البيسينوم التي لم تخضع لسلطة رومة إلا منذ نصف قرن فقط. فوجد الزاد والحليف، والراجح أنه اتصل ب " الماروسيين والبيلينيين القاطنين في الابنان والأوسط وحرضهم على العصيان. ولكن رومة عينت "كانتوس فابيوس مكسيموس" خصم أفلامينوس القديم دكتاتورا وهو من أنصار الحرب التي تنهك قوى العدو بطول المقاومة. بدون الاصطدام به وجها لوجه. ولما اقترب من عدوه انتقل حنبعل إلى سهل "دوني" ثم إلى "كامباني" وتزود من خيرات تلك الجهة. فلحقه " فابيوس" وكاد أن يقبض عليه إلا أن الرومان ملوا هذه البطيئة اللينة التي كان يسير عليها هذا الدكتاتور "المتأني" واعتقد الشعب أن الرعاع المتنبلين اتحدوا

مع الارستقراطيين لمواصلة الحرب دون جدوى فعين شخصية جديدة معروفة ببلاغتها المتحمسة هي " تارتيوس فارو" لتشارك القنصل إيمليوس بولوس في الحكم.

ووصل حنبعل إلى سهول "أبولي" واستحوذ على المخازن الحربية "بكانة" وعسكر الجيش الروماني الذي كان يضم ما يقرب من ٨٠٠٠٠ بالقرب منه. وبدأ "فارون" المعركة بالرغم عن ايميليوس على الضفة اليمنى من "الاوفيد")أوت ٢١٦ (ونجح حنبعل الذي كان عدد جنوده لا يتجاوز نصف عدد جنود الرومان في تطويق العدو من كل جانب، وقتل "ايمليوس" و ٤٥٠٠٠ روماني وأسر ٢٠٠٠٠ . ولاذت فلول الجيش الروماني بالفرار والتحقت بكانوزيوم تحت جنح الظلام، وفر "فاورون" كذلك، فرأى مجلس الشيوخ من الدهاء أن يقتبله معززا مكرما.

ويتساءل المؤرخون لماذا لم يستغل حنبعل انتصاره. ولا شك أنه كان يرى من المستحيل محاصرة رومة، ولعله كان يأمل أن يجنح مجلس الشيوخ إلى التفاوض، ولكن شيئا من ذلك لم يحدث. وقد جلب انتصاره في "كانة" بعض الحلفاء، وخاصة مدينة "كابو" في جنوب ايطاليا كما أنه مكن قرطاج بعد موت هيرون من مضاعفة بسط نفوذها في صقلية، ولكن ايطاليا الوسطى لم تحرك ساكنا ولم تتكون أية جبهة في البحر المتوسط من شأنها أن تهدد مستقبل رومة.

ومنذئذ استحالت الملحمة مغامرة، وانهارت قوة حنبعل شيئا فشيئا ابتداء من سنة ٢١٣ . فقد أطرد الرومان مدة سنتين البونيقيين بدون رجعة وسقطت كابو في يد الرومان ونالها عذاب عسير كما فتح "كرنوليوس شيبيون "الأندلس وفقدت قرطاج جراء ذلك ٢٠٧ (وتمت مشيئة القدر وعندما حاول عزر بعل فيما بعد نجدة أخيه - زمام الحرب) ٢٠٨ انهزم وقتل قرب " الميتور")جوان، جويلية ٢٠٧ (وآل الأمر بحنبعل إلى أن ظل معسكرا بالبرونيوم حيث لم يتجاسر أحد على اقتحام مكانه.